بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيما محمد وآله الطيبين الطاهرين[1]

السلام على أمير المؤمنين يوم وُلِد، ويوم صبر (وفي العين قذى وفي الحلق شجى)[2]، ويوم قام بإحياء دين الله وإنعاش سنة رسوله (ص)، ويوم مات شهيدا، السلام عليه نورا في الطريق وشهيدا –حاضرا– في النفوس وقوة ومِنعة لمن وجّه وجهه لربه، السلام عليه دينا وسبيلا وإماما وإمامة وهدى لمن أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا، والسلام عليه يوم يُحشر إماما يقود الناس الذين اتبعوه إلى الجنة، يقود الناس الذين شفعهم إلى الله وأَمّهم إلى سنة رسول الله وأحيا قلوبهم بذكر الله عز وجل

لا أريد أن أتحدث عن مسائل متداولة تحفظها وتتصور أنك اقتربت بها إلى أمير المؤمنين (ع)، بل أريد أن أنبهك إليه (ع) كإمام موجود في نفسك تنتبه له فتجده وتلتقي به نفسك، لو استطعت أن أذكّرك بهذا فقد نجحت، وإلا كل ما أقوله لو لم يكن يُثير في نفسك شيئا ويجعلك تلتقي بأمير المؤمنين (ع) فهو لا ينفع

في أواخر حياة أمير المؤمنين (ع) ظهرت حركة الخوارج[3]، وكثير من الناس وجدوا فيهم رغبتهم وأمنيتهم فالتفّوا حولهم، تلك الرغبة وتلك الأمنية التي قد تدرّبوا عليها في كنف أمير المؤمنين (ع)، لكن كانت تنقصهم معرفة الإمامة، فالخوارج لديهم شعار وحركة واندفاع لكن منزوع عنها الإمامة، الناس الذين لم يتفاعلوا مع هذه الحركة نمطان: نمط من الناس وهم المتخاذلون اللّاهون وإن كانوا يصلون ويصومون وحتى إذا حصل هنالك قتال وحرب يقاتلون ليؤدوا هذا العمل إسقاطا للتكليف، ونمط آخر قليلون وهم الذين كانوا يعرفون الإمامة فتعلّقوا بأمير المؤمنين (ع)، فكانوا يجدون أن شعار الخوارج وحركتهم مضادة للإمامة التي هي أساس الدين

حينما قام الخوارج بقتل بعض الأشخاص فاتخذ أمير المؤمنين (ع) منهم موقفا ثم كتب (ع) كتابا فأعطاه لعبد الله بن وأل ليذهب به إلى زياد بن خصفة –أمير من أمراء جيشه (ع)– يأمره بمحاربة الخوارج، يقول عبد الله بن وأل: كنت شابا حدثا –يعني في حدود العشرين– (فأخذت الكتاب منه فمضيت به غير بعيد، ثم رجعت به، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أمضي مع زياد بن خصفة إذا دفعتُ إليه كتابك إلى عدوك؟ فقال: يا ابن أخي افعل، فوالله إني أرجو أن تكون من أعواني على الحق، وأنصاري على القوم الظالمين، فقلت له: أنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ومن أولئك، وأنا حيث تحب، قال ابن وأل: فوالله ما أحبُّ أن لي بمقالةِ عليٍّ تلك حمر النعم)[4]

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة الموافق ١٤ صفر ١٤١٨، وقد تطوع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) نهج البلاغة (الخطبة الشقشقية)

(3) أشار السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤ – الإمامة**) فصل (**ثورتان**)

(4) تاريخ الطبري (١١٨/٥)

(إني أرجو أن تكون مِن أعواني على الحق وأنصاري على القوم الظالمين)، الشخص الذي لا يعرف الحق ولا يعرف الظلم والظالمين هل هذا من الممكن أن يكون من أنصار أمير المؤمنين (ع)؟ وحينما قال عبد الله بن وأل: (ما أحبُّ أن لي بمقالةِ عليٍّ تلك حُمر النعم) –حمر النعم هي الإبل الحمراء التي كانت تُعد أنفس الأموال عند العرب–، هذه الحالة كيف تحصل؟

نحن نستهدف هذه الحالة التي تحصل للإنسان في طريق الله، نعرف أن هذه الحالة هي ثمرة طيبة تنتجها شجرة إيمانية معينة، هذه الشجرة نسعى لمعرفتها فننميها لتنتج هذه الثمرة، وإلا كان الأمر عبثا إذا اقتصر الأمر على أن أناسا ولدوا –والآن كذلك– في بيئة تعتقد بأمير المؤمنين (ع) إماما وتذكر اسمه، فشخص ضمن هذه البيئة يتعلق به ويأنس باسمه (ع)، أبوه سُمي بهذا الاسم، وبعض أقاربه كذلك، وربما يسمي ولده كذلك بهذا الاسم، ويكتفي بهذه الحدود ويتعصب لهذا الاسم ويظهر هذا التعصب في أحيان كثيرة، كثير من الناس هكذا من دون أن يشعروا بأية حاجة إلى التعرف على إمامته (ع)

الذي يعيش في هذه البيئة يسمع أو يقرأ أن رسول الله (ص) نصب عليا (ع) وأعلنه وليا، وتوجد هنالك نصوص تثبت هذا، فهو يكتفي بهذا، أو يقرأ عن كراماته ومعاجزه (ع) ويكتفي بها متصورا أنه على خير إذا يعرفه (ع) بهذه الصورة فقط، هذا النمط من التعامل مع أمير المؤمنين (ع) لا يؤدي إلى معرفته كإمام وإنما يجعل أمير المؤمنين (ع) كقضية تراثية يذكرها الإنسان كما يذكر أباه

التعامل المنتشر الآن يركز على أعمال وخصال أمير المؤمنين (ع)، مثلا حينما طُرِح عليه (ع) في الشورى أن يتولى الخلافة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله (ص) وسيرة الخلفاء رفض وقال: (بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي)[٥]، هذا الموقف يُفسَّر على أنه يطرح خصلة من خصاله (ع) وهي وضوحه وصراحته، بينما أمير المؤمنين (ع) كان يريد من هذا الرفض أن يبين طريقه وسبيله المبني على كتاب الله وسنة –طريقة– رسوله (ص)

وكذلك حينما أعلن أمير المؤمنين (ع) أن الأسود والأحمر أمامي سيّان في مال الله، فقام إليه عقيل فقال له أتجعلني أنا والأسود سواء! فقال (ع): (...وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى)[٦]، هذا الموقف كذلك يعتبرونه موقفا جيدا، وأشياء أخرى من هذا القبيل، يعني أن هذه الأعمال يُركَّز عليها كأعمال متميزة، ونجد هذا حتى في الكتابات وفي الخطابات الدينية، وكذلك يركَّز على خصال أمير المؤمنين (ع)، كان شجاعا مثلا، كان عالما فيقارَن مع أناس آخرين ما كانوا يعلمون أو لم يكونوا شجعانا، هذا هو الأسلوب الرائج لمعرفته (ع)

---

(٥) (شرح نهج البلاغة (١٨٨))

(٦) الكافي (١٨٢/٨)

هنا توجد مشكلتان رئيسيتان، المشكلة الأولى: أن في مقابل ما يُذكر عن أمير المؤمنين من خصال مثل (أقضاكم علي)[٧]، توجد هنالك نصوص تمدح أشخاصا آخرين من أصحاب رسول الله (ص) وتذكر لهم أعمالا من هذا النمط وخصالا من هذا النمط مثلا زهد أمير المؤمنين (ع) هنالك كتب مكتوبة في هذا المسألة –في زهده (ع)–، لكن يوجد أيضا أناسا آخرون كانوا فعلا زاهدين كذلك، فبمجرد أنك تبحث –بهذه الطريقة– لابد وأن تضيع ولن تصل إلى شيء[٨]

المشكلة الثانية: وهي أن النفوس البشرية لا تستطيع أن تتعامل مع الأعمال إلا بحدود، فالأعمال والمواقف والخصال مهما بلغت ومهما عمل الشخص من أعمال فهي كأعمال تكون دائما مبتورة، فالشخص بأعماله فقط لا يصبح إماما لأن النفس تعرف الطريق وتعرف السبيل فلا تعرف أعمالا متفرقة لا يجمعها شيء، وعلى هذا الأساس النفوس دائما بحاجة إلى تذكير من ولي صالح يعرّفها هذا السبيل

البحث عن إمامة أمير المؤمنين (ع) ومعرفتها يجعل الأمور تنتظم، يعني أن زهده، شجاعته، ورعه، كل هذه الأشياء تنتظم لتدفع في اتجاه وطريق معيّن في سبيل معيّن وهو أن في أرض الله لا يُعبد فيها إلا الله تعالى، أن هذه الأرض لا توجَّه للشهوات ولغير الله، فلتكن هنالك شهوات لكن النفوس لا تُستعبد للشهوات كما هو حال العالم الآن، وإنما يكون الكبر لله وحده والعبادة لله عز وجل وحده

تكبير الله لا يحصل إلا بمعرفة الإمامة المهتدية، فبالإمامة المهتدية لا يجد –من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا– فتنة تستضعفه، الفتنة دائما موجودة لكنها لا تستضعفه لأن نفسه تكون قوية، وحتى لو بنفسه ما استطاع أن يعرف الفتنة ولم يستطع أن يدفعها ويَعبرها فهو يجد من يُعرّفه بها ويحميه وينصره في دفعها، كيف يحصل هذا (أن لا تكون فتنة)؟ هذا إجمالا تعرفه النفس، أنت إذا تتدبر الأمور بشكل واقعي تعرف أن البحث عن إمامة الأئمة (ع) التي تحيي النفوس ماذا ينتج؟ والأسلوب المنتشر والرائج في تعريف الناس بأمير المؤمنين (ع) ماذا ينتج؟

النصوص الدينية –القرآن الكريم والأحاديث– إنما تهدي نفسك حينما تتحول إلى آيات تشير إلى تلك الحقيقة التي نفسك إذا أُعينت فهي تعرفها، وهي كيف يتحقق العدل؟ العدل بهذا المعنى وبهذه الموازنة أن لا كِبَرَ إلا لله، الله أكبر، وأن الإنسان خلق في أحسن تقويم، وأن لا شيء فوق الإنسان إلا الله، وأن كل شيء آخر متاع إلا وجه الله وما يدله ويربطه بالله، (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)[٩]

---

(٧) بحار الأنوار (٣٣٤/٤٧) نقلا عن الاحتجاج

(٨) بيّن السيد (قدس سره) إلى هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤ – الإمامة**) فصل (**الفرق بين الأئمة وغيرهم**)

(٩) (القصص: ٨٨)

ولا يتحقق هذا إلا بإمامة أمير المؤمنين (ع) والسعي إلى معرفته، وبمجرد أن بدأنا نعرف هذه الإمامة سنعرف أن مجرد الخصال والأعمال تكون خاصة بالأشخاص ولا تدل على إمامة، مثلا شخصان يعملان عملا تحبه النفوس، يعني شخص يعمل عملا تستحسنه النفوس وشخص آخر يعمل نفس العمل، تفكر بأنه هل توجد ضرورة أن هؤلاء يرتبطان مع بعض؟ مثلا شجاع مع شجاع هل يرتبطان؟!

الإمامة هي التي تصهر الناس فتربطهم مع بعض، أنت جرّب إذا بدأت تعرف الإمامة –الإمامة كشجرة نامية بطبيعة الحال– وبمجرد أن عرفت بأن هذه الأعمال لا تشير إلى إمامة فعدّة أشياء تحصل وتجدها في نفسك، تجد أن هذا ليس خاصا بإمامة أمير المؤمنين (ع)، فأي شخص يعرف هذه الإمامة ويتّبعها فهذا الشخص يرتبط بشكل طبيعي مع الآخرين وينصهر في مسار هذه الإمامة، الأشخاص لا يبقون كأشخاص وإنما كلهم يصبحون باتجاه واحد

الروايات المنقولة أن أئمتنا (ع) ذرية بعضها من بعض، انصهار بإمامة واحدة، لا يمكن أن تكون إمامتان مهتديتان مختلفتان، وإنما تكون إمامتان (إمامة ضالة) و(إمامة مهتدية)، وبنفس الملاك ومن نفس النافذة نفسك هنا تنجذب إلى هذه الإمامة المهتدية، لا فقط تحب عمل لهذا الإمام، لا فقط تحب هذه الخصلة فيه، لا فقط تتعاطف معه، وإنما تجده حيا في نفسك، لأن هذه الإمامة التي عرفتها أصبحت إمامتك أنت، أما ذلك العمل وتلك الخصلة كذلك فهي خاصة له، أما الإمامة بمجرد أن وجدتها –بشرط أن تكون نفسك منفتحة– هذه الإمامة تنتقل إلى نفسك فتكون مثل عبد الله بن وأل، فقط النفس تعرف الحُسن [١٠]، الذهن لا يستطيع أن يعرف الحُسن، هو فقط يحلل

مجرد أن شخصا يعمل أعمالا معينة لا يكون إماما، هذا من الممكن يحصل بالتعصب أو أشياء أخرى، أمير المؤمنين (ع) لم يكن إماما بأعمال وإنما إماما كسبيل ودعوة، هنا الشخص يجد نفسه في أمير المؤمنين (ع)، بحيث أن بَسمته ومدحه (ع) يصبح كل شيء بالنسبة له، فيجاهد لهذه الإمامة ويضحي لأجلها، هذه هي معرفة الإمامة

العالم الآن قلق يعيش الحيرة ويبحث عن هذه الإمامة وإذا عرفها بشكل صحيح قطعا سينفتح عليها ويرغب فيها، الآن إمامة الضلال هي المسيطرة، إمامة الشهوات تُكثر من الملهيات وتجعل الإنسان يفقد قيمومته على نفسه، وغيرها من الشواهد الكثيرة الإنسان يعرفها ويتألم منها إلى درجة يبحث عن إمامة ودعوة ترفع من شأنه

---

[١٠] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت٣ – القرآن** (قرآن)) فصل (**الحسن ما تستحسنه الفطرة**)

العالم لا يبحث عن خصال متميزة يقدسها ولا يبحث عن شخص معيّن صالح –خصوصا إذا كان شخصا في التاريخ– وإنما العالم يبحث عن إمامة وسبيل يحقق للإنسان إنسانيته، هذه الإمامة هي التي تتجاوز الأشخاص والأفراد، تتجاوز الزمان والمكان، هذه الإمامة هي التي تجعل أمير المؤمنين (ع) يقول سأفعل وسأفعل...، عندما قال له شخص: (يا أمير المؤمنين كأنك تخبر أنك تحيا بعد ما تموت؟ فقال: هيهات يا عباية، ذهبت في غير مذهب، يفعله رجل مني)[11]، هذه الإمامة هي التي تجعل المسلمين يقولون بصدق (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينِ)

أنت إن شاء الله بمجرد أن بدأت تسعى لأن تعرف هذه الإمامة وتعرف أن هذه الولاية كيف تحصل وكيف تستمر ستجد بأن نفسك تحولت إلى نفس جديدة، وكذلك سترى العالم بصورة مختلفة، أنت عنصر في هذا العالم وستجد أن كثيرا من التشويهات ستنجلي عن بصرك، فأمير المؤمنين (ع) لابد أن يُعرف كإمام، وإلا لا يحصل شيء، فإذا عُرف فهنا يتحقق ما نُقل عنه (ع): (لَتعطفنَّ الدنيا علينا بعد شماسِها عَطفَ الضَّرُوس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ))[12]

هنا لا يكون الإمام شخصا وإنما هو دين وطريق وصراط، فهو يجسد أمرا، هذا الأمر لابد أن تعرفه ليكون أمرك، وعلى هذا الأساس أحاسيسك تجاه الإمام تختلف، بمجرد أن تبدأ بالتعرف على إمامة رسول الله (ص) وإمامة أمير المؤمنين (ع) فهذه الإمامة تربطك بالأنبياء كلهم لا فقط إمامة أمير المؤمنين (ع)، أنتم تعلمون أن الأئمة (ع) كم كانوا يركزون على إمامة أمير المؤمنين (ع) لأنه يؤشر إلى إمامة رسول الله (ص)، النفس تنفتح فيدخل الأنبياء (ع) كلهم في نفسك عن طريق أمير المؤمنين (ع) الذي يمثلهم وهو وارثهم[13]

إذا تعرفت على هذه الإمامة هنا همّك لا يبقى ذلك الهمّ الذي كان همّا شخصيا وإنما يصبح همّ أمة، همّ إمامة، وتعرف بدرجة بأن هذا هو همّ أمير المؤمنين (ع)، وتعرف في نفس الوقت أنك أنت مأموم وتحمل نفس همّه ويشير همك إلى همه (ع)، مقاييسك تتغير وأحاسيسك تتغير، الظلم والعدل تعيشهما بمنطق جديد وبموازين وأسس جديدة

وستتغير نظرتك إلى مظلومية أمير المؤمنين (ع) فلا تكون مظلومية شخص في التاريخ وإنما هي مظلوميتك أنت، إذا ظُلِم فهذا الظلم تحسه في نفسك، كأنك أنت ظُلمت، صرخته (ع) تصبح صرختك، هذا هو المنفذ الصحيح والطريق إلى الله تعالى، وهذا سوف يحصل وبهذا (تعطف الدنيا) لا على أمير المؤمنين (ع) كشخص بل على الإمامة التي كان يجسّدها، وأرجو أن نكون كلنا ممن يسعى لإحياء هذه الإمامة في نفوسنا وفي نفوس الآخرين، والحمد لله رب العالمين

---

(11) بحار الأنوار (٥٣/٦٠) نقلا عن معاني الأخبار

(12) نهج البلاغة (الحكمة ٢٠٩)

(13) بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤ – الإمامة**) فصل (**لولا علي (ع) لم يُعرف العدل**)